عـــود النـــد

مجلة ثقافية فصلية

ISSN 1756-4212

الناشر: د. عدلي الهـواري

العدد الفصلي 38: خريف 2025

بحـوث ونـصـوص متـنـوعـة
تـرجـمـات ومـخـتـارات

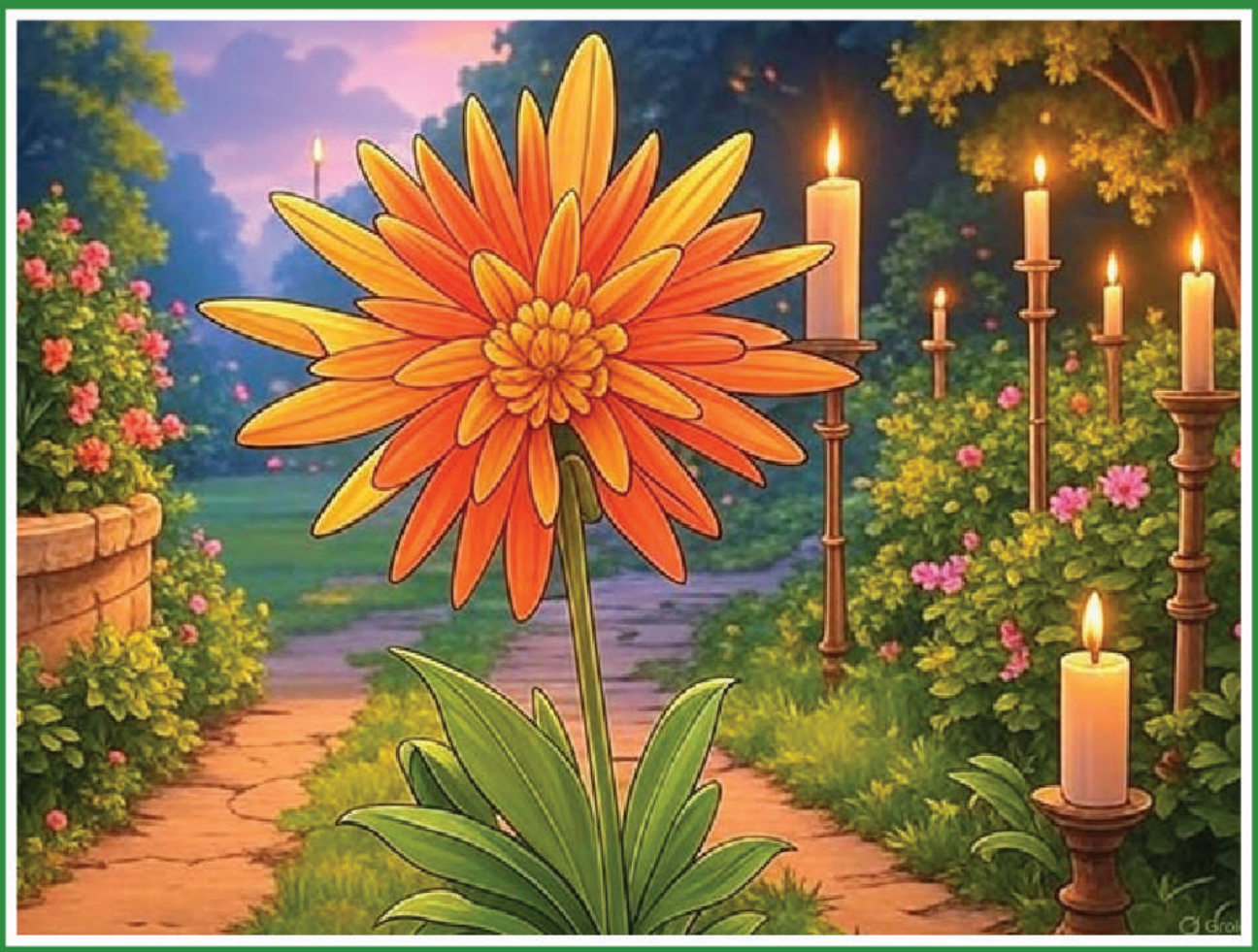

المحتويات

عدلي الهواري **3**

كلمة العدد الفصلي 38: المفاوضات والنية الحسنة

فراس حج محمد.. .. .. **7**

روايةُ اللّغةِ واستقراءُ مصادرِها

د. نادية هناوي **13**

سردية التسجيل بين الجبرتي وصلاح عيسى

جيهان أبو لاشين.. .. .. **21**

حرب في رأسي

إيناس ثابت. **23**

لحن الطبيعة

فنار عبد الغني.. .. .. **27**

أحلام من الجنوب

زكي شيرخان.. .. .. **30**

ميتة

ترجمات: مؤسسة دولية تعلن رسميا وجود مجاعة في غزة **39**

نصف مليون نسمة دخلوا مرحلة المجاعة

فراس حج محمد

روايةُ اللّغةِ واستقراءُ مصادرِها

يشيرُ مفهومُ الروايةِ إلى انتقالِ الخبرِ المسموعِ منْ شخصٍ إلى آخرَ، مشافهةً، قبلَ أنْ يستقرَ في الصُحفِ مكتوبًا، والشخصُ يُسمَّى راويًا وراويةً، «إذا كثُرَتْ روايتُهُ، وَالهاءُ [التاءُ المربوطةُ] للمبالغةِ في صفتِهِ بالرّوايةِ. وَيقالُ: رَوَى فلانٌ فلانًا شعرًا إذا رواهُ لهُ حتَّى حَفِظَهُ للرِّواية عنهُ»[1]، وَرُبَّما دلَّتْ بعدَ ذلكَ على الاتِّصافِ بالفعلِ؛ فالرَّاويةُ هوَ مَنْ كانَ عملُهُ روايةَ الأخبارِ والأحداثِ، وَالاهتمامَ بِها، حتَّى أصبحَتْ شُغلَه واكتسبَ مِنْ هذا العملِ صفتَهُ. ويستدعي هذا العملُ الحفظَ وَالاستظهارَ، وليسَ مجردَ النَّقلِ، «وتقولُ: أنشدِ القصيدةَ يا هذا، ولا تقلْ ارْوِها إلّا أنْ تأمرَهُ براويتِها أَيْ باستظهارِها»[2].

ويدورُ أصلُ المعنى اللُّغويُّ على الاستقاءِ، وتشترطُ الرِّوايةُ أمريْنِ الحملَ والاستظهارَ، و»هما عنصرا الرّوايةِ»[3]، ويلتقي في ذلكَ الأخبارُ القديمةُ والشِّعرُ والقرآنُ الكريمُ والحديثُ الشّريفُ، وتَبَلْوَرَ نتيجةً لِأهميةِ هذا الأمرِ علمٌ خاصٌّ عُـرِفَ في الحديثِ النَّبويِّ بعلمِ الرّوايةِ، وصارَ منْ مباحثِ علمِ الحديثِ الشّريفِ[4].

وَقبلَ مجيءِ الإسلامِ كانَتِ الأخبارُ وَالأشعارُ تنتقلُ مِنْ أفواهِ الرُّواةِ مشافهةً، وَعُرِفَتْ ظاهرةُ الشّعراءِ الرواةِ في الجاهليةِ، وَيكادُ يكونُ لكلِّ شاعرٍ جاهليٍّ

راويةٌ يصحبُهُ، يروي عنْهُ أشعارَهُ، وَينشرُها بينَ النّاسِ. وَربَّما احتذى آثارَهُ الفنيّةَ مِنْ بعدِهِ، وَزادَ عليها مِنْ عندِهِ.

وَكانَ هؤلاءِ الرواةُ يعتمدونَ في الغالبِ على الرّوايةِ الشّفويةِ، وَلا يستخدمونَ الكتابةَ إلّا نادراً»[5]، فَكانَ لِلأعشى راويةٌ اسمُهُ عبيدٌ، وَكانَ يصحبُهُ «وَيروي شعــرَهُ، وَكانَ عالمًا بِالإبلِ، وَكانَ يسألُهُ عنْ شعـرِهِ وَعنْ معانيهِ وَألفاظِهِ، وَعنْهُ أخذَ الرواةُ مثلُ «سماك» أخبارَ الأعشى وَشعرِهِ»[6].

لَمْ تكنِ الروايةُ الأدبيةُ وَالخبريةُ في العصرِ الجاهليِّ تتوخى الدقةَ[7]، وَكانَ الراويةُ يُنقصُ الخبرَ أوِ القصيدةَ أوْ يتزيدُ فيهِمَا حسبَ أهواءٍ وَمصالحَ، قدْ ترقى إلى مصالحَ قبليةٍ أوْ ربما مصالحَ شخصيــّةٍ ذاتيــّةٍ.

وَيلاحظُ الدارسونَ أمرًا آخرَ على الرّوايةِ التي تختصُّ بِالعصرِ الجاهليِّ أنَّ ما وصلَنَا منْها قليلٌ، لأنَّهُ لَمْ يتمَّ تدوينُ كلِّ شيءٍ أولًا، وَلأنَّــهُ عندَما جاءَ الإسلامُ لَمْ يعدْ يهتمُ المسلمونَ بِأخبارِ الجاهليــّةِ وَما فيها، فصارتْ أخبارُ الجاهليــّةِ قليلةً، وَستصبحُ المصادرُ الإسلاميةُ أهمَّ مصدرٍ لِـلحياةِ الجاهليــّةِ، وَخاصةً القرآنَ الكريمَ[8].

لقدْ علا شأنُ الرّوايةِ في عصرِ الإسلامِ، لاعتمادِ مصادرِهِ الأصليّةِ الموحَى بِها على الرّوايةِ الشّفويةِ، وإنْ صاحبَتْها الكتابةُ، فـَالقرآنُ الكريمُ كانَ متداولًا بينَ المسلمينَ شفاهةً، وَيُقرَأُ غيبًا في الصّلاةِ، مَعَ أنــّه كانَ محفوظًا في الرقاعِ، إلّا أنّهُ لَمْ يكنْ مجموعًا عندَ صحابيٍّ واحدٍ، وَكانَ القرآنُ في صدرِ النبيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، وَفي صدورِ الصَّحابةِ، وَعندَما جاءُوا لــِيجمعُوهُ في زمنِ أبي بكرٍ الصّديقِ، رضِيَ اللهُ عنْهُ، أخذُوهُ مِنَ الرقاعِ وَمِنَ الصُّدورِ، وَقابلُوا بينَ المصدريْنِ، وَكانَتْ شهادةُ الصحابةِ هيَ الفيصلُ في اعتمادِ الآياتِ وليسَ مجردَ الكتابةِ في الألواحِ.

وَبذلكَ يكونُ القرآنُ الكريمُ أوّلَ مصادرِ الرّوايةِ في العربيّةِ، وَهوَ أصحُ تلكَ المصادرِ وَأعلاها وَأهمُّها، وَبــِفضلِ القرآنِ الكريمِ احتفَى العلماءُ بالشِّعرِ الجاهليِّ وَبــِاللغةِ، وَبــِالروايةِ، وَصحتِها، وَأسسِها التي يجبُ أنْ تقومَ عليها؛ فقدْ احتاجَ العلماءُ إلى الشعرِ الجاهليِّ ليفسرُوا القرآنَ وَليفهمُوا بعضَ آياتِــهِ،

بلْ وَاضطرَّ أحيانا الصحابةُ أنْ يسألَ بعضُهم بعضًا عنْ معنى لفظٍ قرآنيٍّ، فلمْ يجدوا الجوابَ إلّا في شاهدٍ مِنَ الشعرِ الجاهليِّ، وَمنْ أمثلةِ ذلكَ استفسارُ عمرَ بنِ الخطّابِ، رَضِيَ اللهُ عنْهُ، وَهوَ على المنبرِ عنْ معنى لفظِ «تخوُّف» في قولِهِ تعالَى: ﴿أو يأخذهم على تخوّفٍ﴾[9] «ما تقولونَ فيها، فَسكتُوا فَقامَ شيخٌ مِنْ هذيلَ فَقالَ: هذهِ لغتُنا، التّخوُّفُ التّنقُّصُ، قالَ: فهلْ تعرفُ العربُ ذلكَ في أشعارِها؟ قالَ: نعمْ. قالَ: شاعرُنا، وَأنشدَ البيتَ [تخوَّفَ الرَّحلُ مِنْها تامكًا قَرِدًا كمَا تخوَّفَ عودَ النَّبعةِ السَّفَنُ]، فَقالَ عمرُ: أيُّها الناسُ عليكُمْ بِديوانِكُمْ، قالُوا: وَما ديوانُنا، قالَ: شعرُ الجاهليةِ»[10].

لمْ يشتملِ القرآنُ الكريمُ على الأحكامِ الدينيّةِ، التشريعيّةِ وَالعقديّةِ فقطْ، بلْ اشتملَ على الأخبارِ والقصصِ، وَاشتملَ على مجموعةٍ مِنَ الألفاظِ العربيّةِ وَغيرِ العربيّةِ، وَصارَتْ لغةُ القرآنِ الكريمِ معياريةً يُقاسُ عليها كلُّ كلامِ البلغاءِ وَالفصحاءِ، وَأصبحَتِ الآيةُ القرآنيّةُ أعلى الشّواهدِ اللّغويةِ وَالصرفيّةِ وَالنحويّةِ، نظرًا لأنَّ القرآنَ كتابٌ سماويٌّ مقدسٌ «لا يأتيهِ الباطلُ مِنْ بينِ يديهِ وَلا مِنْ خلفِهِ»[11]، فكلُّ ما فيهِ حقٌّ، وَأيضًا مِنْ ناحيةٍ علميّةٍ فقدْ جُمعَتْ مادتُهُ بطريقةٍ لا يتطرقُ إليْها الشكُّ؛ فَلمْ يختلفِ المسلمونَ على ما فيهِ، وَإنْ اختلفُوا على تأويلِ بعضِهِ.

وَفَّرَتِ اللّغةُ القرآنيّةُ مجالًا خصبًا للدراساتِ اللّغويةِ في مستوياتِها كلِّها، بدءًا مِنَ البنيةِ الصرفيّةِ وَانتهاءً بِالأساليبِ البلاغيّةِ، وَمِنْ أجلِ هذهِ الأهميةِ صارَ القرآنُ الكريمُ عندَ الدارسينَ سببًا وَمصدرًا لِلرّوايةِ، وَأولُها قبلَ الشِّعرِ الذي هوَ أسبقُ تاريخيًا مِنَ القرآنِ الكريمِ[12].

وَجاءَ الحديثُ الشَّريفُ في المرتبةِ الثّانيةِ مِنْ حيثُ موقعُهُ في الرّوايةِ وَأهميتِها، نظرًا لِلأسلوبِ المتّبعِ في جمعِها وَروايتِها، فَلمْ تكنِ الرّوايةُ في الحديثِ عشوائيّةً، بلْ كانَتْ منضبطةً وَذاتَ أصولٍ، وَكمَا سبقَ ذكرُهُ، أنتجَتْ استراتيجيةُ روايةِ الحديثِ الشَّريفِ علمًا خاصًا بِهِ، شَمِلَ رواتَهُ وَمتنَهُ، وَإنْ اختلفتْ مدارسُ الحديثِ في تصنيفِهِ بينَ الصحيحِ وَالحسنِ وَالضَّعيفِ

وَالموضوعِ، إلّا أنَّ كلَّ هذهِ التصنيفاتِ مرتبطةٌ بِأحوالِ الرّواةِ، وَما قالَهُ عنُـهم علمُ الجَرحِ وَالتَّعديلِ.

وَيلتقي الحديثُ الشَّريفُ مَعَ القرآنِ الكريمِ في أنَّ كليهما ذوا مصدرٍ إلهيٍّ، وَأنَّهما مصدرانِ مِـنْ مصادرِ التَّشريعِ، وَموضوعُهما واحدٌ؛ الشريعةُ وَالعقيدةُ، لكنَّ الحديثَ الشَّريفَ اختُلِفَ على كونِهِ صالحًا لِلاحتجاجِ بِهِ، نظرًا لتاريخيّةِ جمعِهِ، فقدْ وَقَعَ خارجَ الفترةِ الزَّمنيةِ التي حدّدَها العلماءُ لِلاحتجاجِ. وَيبسطُ العلماءُ القولَ في مدى الاحتجاجِ بِالحديثِ لِيخلُصَ صاحبُ كتابِ «في أصولِ النَّحوِ إلى «النتيجةِ المُرْضيةِ» التي توصَّلَ إليها الباحثُ محمد الخضر حسين، وَجاءَ في نهايتِها: «وَخلاصةُ البحثِ أنَّنا نرى الاستشهادَ بِألفاظِ ما يُروى في كُتبِ الحديثِ المدوَّنةِ في الصدرِ الأوَّلِ، وَإنْ اختلفَتْ فيها الروايةُ، وَلا نستثني إلّا الألفاظَ التي تجيءُ في روايةٍ شاذّةٍ، أوْ يغمزُها بعضُ المحدثينَ بِالغلطِ، أوِ التَّصحيفِ غمزاً لا مُردَّ لَهُ، وَيَشُدُّ أزرَنا في ترجيحِ هذا الرأيِ: أنَّ جمهورَ اللُّغويينَ، وَطائفةً عظيمةً مِنَ النَّحويينَ يستشهدونَ بِالألفاظِ الواردةِ في الحديثِ، وَلوْ على بعضِ رواياتِهِ»[13].

وَيحلُّ الشِّعرُ العربيُّ في المرتبةِ الثَّالثةِ مِنْ حيثُ الأهميةُ في الرِّوايةِ وَمصادرِها، وَلكنَّهُ في المرتبةِ الثَّـانيةِ مِنْ حيثُ الاحتجاجُ بِهِ، على الرغمِ مِنْ أنَّهُ وصلَ العلماءَ شفاهةً، وَلَمْ يكنْ مكتوبًا، وَبُدِئَ بِتدوينِهِ أيضًا في فترةٍ متأخرةٍ، وَقدْ وَقَعَ فيهِ الكثيرُ مِنَ الاختلافِ في الرِّوايةِ، وَتكفي الإشارةُ هنا فقطْ لِـمعرفةِ ما قدْ يحدثُ على القصيدةِ الجاهليَّةِ ما قامَ بِهِ الباحثُ عبد المنعم خضر الزبيدي في كتابِهِ الموسومِ بـــِ مقدمةٍ لدراسةِ الشِّعرِ الجاهليِّ، إذْ يُخصّصُ ملحقًا يثبتُ فيهِ «قصائدَ مِنَ الشِّعرِ الجاهليِّ اختلفَتْ أناشيدُها»[14].

هذهِ أهمُّ مصادرِ الرِّوايةِ التي اعتمدَ عليها العلماءُ في حفظِ اللُّغةِ وَتدوينِها، وَهذهِ المصادرُ فيما يخصُّ النُّصوصَ، إنَّما اللُّغةُ وَمفرداتُها وَصحّتُها الصَّرفيةُ والنَّحويةُ فَقدْ كانَ يعودُ العلماءُ فيها إلى الأعرابِ، فَيتلقونَ مِنْهم تلكَ الألفاظَ وَيسجّلونَها، وَقدْ أفاضَ الباحثُ عبد الحميد الشلقاني في دراستِها في كتابِهِ

الأعرابِ الرواةِ، وَجاءَ فيهِ: «وَكانَ الأعرابُ بِصفةٍ عامةٍ مصدرًا هامًّا يذهبُ إليهِمْ رواةُ اللُّغةِ حيثُما وُجِدُوا، وَأوثقُهم أعرابُ الباديةِ الّذينَ بعدُوا عَنِ الحاضرةِ وَلَمْ تتأثرُ ألسنتُهم بِها»[15].

= = =

الهوامش

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1988، الجزء الخامس، ص 383.

[2] السابق، نفسه.

[3] الشلقاني، عبد الحميد، الأعراب الرواة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط 2، 1982، ص 17.

[4] ينظر: مجمع اللغة العربية، معجم مصطلح الحديث النبوي، 2002، ص ص 35-36.

[5] بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط 5، د. ت، ص ص 64-65.

[6] جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، ط 4، 2001، ج 17، ص 267.

[7] ينظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص 65.

[8] ينظر: حسين، طه، في الشعر الجاهلي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 1، 1926، ص 8.

[9] القرآن الكريم، سورة النحل، الآية (47).

[10] أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987، الجزء الثامن، ص 4188.

[11] القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية (42).

[12] الشلقاني، عبد الحميد، مصادر اللغة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، د. ت، ص ص 29-30.

[13] الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 58.

[14] ينظر: الزبيدي، عبد المنعم خضر، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، منشورات جامعة قاريونس، 1980، ص 291؛ ص 413.

[15] الشلقاني، عبد الحميد، الأعراب الرواة، مرجع سابق، ص 8.

= = =

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، 1987.

بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط 5، د. ت.

حسين، طه، في الشعر الجاهلي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 1، 1926.

أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987.

الزبيدي، عبد المنعم خضر، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، منشورات جامعة قاريونس، 1980.

الشلقاني، عبد الحميد، الأعراب الرواة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط 2، 1982.